

التبيان في تفسير القرآن

(476) بعضهم لبعض: ان هكذا عادة الدهر، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فلم ينفكوا عن تلك الحال فينتقلوا. وقوله " فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون " اخبار من الله تعالى انه أخذ من ذكره ممن لم يقبل مواعظ الله وخرج عن طاعته إلى عداوته " بغتة " يعني فجأة وهي الاخذ على غرة من غير مقدمة تؤذن بالنازلة تقول: بغته يبغته بغتة كما قال الشاعر: * واطع شئ حين يفجؤك البغت * (3) ومعنى الآية انه تعالى يدبر خلقه الذين يعملون بمعاصيه ان يأخذهم تارة بالشدة واخرى بالرخاء، فاذا فسدوا على الامرين جميعا اخذهم بغتة ليكون ذلك اعظم في الحسرة، وابلغ في باب العقوبة. ومعنى قوله " وهم لا يشعرون " أي لم يشعروا بنزول العذاب الا بعد حلوله. قوله تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون (95) آية بلاخلاف. قرأ ابن عامر " لفتحنا " بتشديد التاء. الباكون بتخفيفها. من شدد ذهب إلى التكثير، ومن خفف، فلانه يحتمل القلة والكثرة. ومعنى (لو) امتناع الشئ لامتناع غيره، و (لولا) معناه امتناع الشئ لوجود غيره. وقال الرماني: معنى (لو) تعليل الثاني بالاول الذي يجب بوجوبه، وينتفي بانتهائه على طريقة ان كان، و (ان) فيها هذا المعنى على طريقة يكون. والفرق بين (لو) و (ان) أن (ان) تعلق الثاني بالاول الذي يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون كقولك ان آمن هذا الكافر استحق الثواب، _____ (3) مرتخرجه في 4 / 115.